

ينظم معهد الدراسات الإستيمولوجية - بروكسيل (IESE) بالشراكة مع جامعة فيرفاكس أمريكا (FXUA) وجامعة مالقة الإسبانية (UMA) وجامعة بابلو دي أولافيد بإشبيلية (UPO) مؤتمرا دوليا تحت عنوان:

"المرابطون ونحن: في مستوى الإرث ووجهته المعاصرة"

يومي 20 و21 ماي 2022

في مالقة - إشبيلية (إسبانيا)

عنوان المداخلة:

**الجدال الفكري بين الفقهاء والفلكيين حول مسألة اتجاه القبلة بالغرب الإسلامي: الدواعي والتداعيات.**

إعداد: د. نصيرة عزرودي. أستاذة محاضرة بقسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة.

الملخص:

استفاد علماء التوقيت من عناية وسخاء حكام الدول المتعاقبة على بلاد المغرب الإسلامي خاصة في عهد دولة المرابطين (448-541هـ / 1056-1147م).

كما برز نشاط متميز للفقهاء المغاربة في التصنيف في علم الميقات، دارسين أهم قضاياها خاصة مسألة تحديد القبلة، هذه الأخيرة تعدّ من مسائل علم الفلك الكروي، اجتهدوا في حلّ مسائلها في ظلّ انتشار الأخطاء الشنيعة في تحديد اتجاه قبلة الكثير من المساجد المغربية والأندلسية.

من ذلك الفقيه أبو علي المئجي (توفي حوالي 530هـ/1136م) مؤلف كتاب "دلایل القبلة" الذي عاش في عهد يوسف ابن تاشفين (400 - 500هـ / 1106 - 1009م)، هذا الأخير اتسم عهده باستحكام الخلاف بين الفقهاء والفلكيين حول اتجاه القبلة في محاريب المساجد المغربية، فبالرغم من محاولات الفلكيين تصحيح تلك الأخطاء لكنهم اصطدموا بمواقف الفقهاء المتشددين الذي فرضوا رأيهم لأنهم مدعومون من قبل السلطة المرابطية.

فيا ترى ما هي مواقف الفقهاء الموالين للسلطة من مسألة تغيير اتجاه القبلة؟ وما هي الفئة المعارضة التي أخذت على عاتقها التنبيه لتقصير السلطة في مسألة انحراف اتجاه القبلة بمساجد المغرب الإسلامي؟

وما هي أهم المؤلفات التي تم تأليفها خلال الحقبة المرابطية؟ وهل مزجت بين الرأي الفقهي والفلكي؟ أم غلب عليها الطابع الفقهي؟

- عناية الحكام المرابطين بعلم التوقيت:

استفاد علماء التوقيت من عناية وسخاء حكام الدول المتعاقبة على بلاد المغرب الإسلامي

خاصة في عهد دولة المرابطين (448-541هـ / 1056-1147م)، إذ تمّ التسجيل فيها لأبرز حدث علمي في تاريخ التّوقيت والتّعديل، وهو تسجيل أول تجمع للمؤقتين المغاربة لمناقشة اختلاف التاريخ الهجري بين المغرب والمشرق الإسلاميّين وتحديدًا بغداد، فعلى إثر سفر ابن العربي (468-543هـ / 1076-1149م)، إلى بغداد عام 490هـ / 1097م، توالى الرسائل بين المرابطين والعباسيين، ولما كانت المكاتب البغدادية تحمل تاريخًا يختلف عن التاريخ الذي يُورخ به في الديار المغربية، إذ يسبق تاريخ المغاربة بيوم ويومين، فعَمِل ذلك في قلب الخليفة علي ابن يوسف بن تاشفين (476-537هـ / 1083-1143م)، وكلف وزيره أبا القاسم بن الجد أن يستشير فقهاء المغرب في هذه النازلة، فجمع، لذلك فقهاء وعلماء المغرب في ما يمكن وصفه بأول مؤتمر علمي حول نازلة اختلاف رؤية الهلال، الذي أجمع فيه الحاضرون على أنّ هذا الاختلاف لا بدّ منه لبعده المطالع، لأنه إذا انتقص الهلال سبقوا بغداد بيومين، وإذا كمل سبقوا المغرب بيوم، وقد يسبق المطالع بثلاثة وبأكثر على حساب القرب من المشرق.<sup>1</sup>

### - الخلاف بين الفقهاء والفلكيين حول مسألة اتجاه القبلة:

ظهرت مؤشرات الخلاف بين فقهاء المرابطين وعلماء الفلك في مسألة تحديد اتجاه قبلة محاربي المساجد بالمغرب الإسلامي، فمنذ بداية القرن السادس الهجري/12م، ظهرت عند الفقهاء محاولات لتحويل قبلة بعض المساجد، منها قبلة جامع علي ابن يوسف، إذ اجتمع حوالي 40 فقيه كان من ضمنهم ابن رشد الجد، واستقرّ رأيهم على تحويل محراب المسجد نحو اتجاه القبلة.<sup>2</sup> الأمر الذي جعل بعض الفلكيين يتدخلون بحكم تخصّصهم وامتلاكهم للأدوات الفلكية الدقيقة لتصحيح أخطاء قبلة بعض المساجد، لكنهم اصطدموا بمواقف الفقهاء المتشدّدة الفارضة رأيهم لأنّهم مدعّمون من قبل السلطة المرابطية.<sup>3</sup>

ولكن هذا الأمر لم يمنع من توالي الخطابات بضرورة تصحيح الأخطاء التي عليها بعض المساجد المغربية في قبلة محاربيها، وهو الأمر الذي حتّ عليه أحد الفقهاء وهو أبو علي المتيجي الأمر الذي دفعه لتأليف مصنّف يعالج فيه هذه الأخطاء.

قسّمه إلى ثلاثة أبواب، الأول في بيان وجوه التوجه إلى القبلة، وبيان ضروب الطرق الموصلة إليها وبيان ضروب المصلين إليها، والثاني في بيان وجوب الاجتهاد في طلبها وكيفية البحث عنها ووجوب الرجوع إليها على من أخطأها، والثالث في بيان اختلاف الغالطين فيها وذكر أسباب غلطهم وذكر العلامة الفاسدة، وبيان وجوب إرشادهم وكيفية الردّ عليهم.<sup>4</sup>

وجعل لكلّ باب فصول متعددة، الباب الأول ضمّنه 24 فصلا، أمّا الثاني فقسّمه إلى 22 فصل، بينما جعل الأخير

في 25 فصل.

- ترجمة المؤلف:

1- ابن البنا المراكشي، رسالة في مسألة الهلال رؤية وحسابا ونقلا، مخطوط ضمن مجموع بالخرانة الصبيحية بسلا، تحت رقم 4/153، ورقة وجه 16 ظهر- خليل أجبدي، المغاربة وعلم التّوقيت، ندوة علمية في موضوع: علم التّوقيت، وذلك يوم الأحد 30 مارس 2014، تنظيم مركز أكلو للبحث والتوثيق بالتنسيق مع الجماعة القروية بأكلو بإقليم تيزنيت، المملكة المغربية.

2 إبراهيم القادري بوتشيش، حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة في الغرب الإسلامي (نقلا عن كتاب القبلة)، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2006، ص119.

3Hajjī, Muhammad, L'activité intellectuelle au Maroc à l'époque sa'dide, Dar El Maghrib, 1976-1977, p. 345

4أبو علي المتيجي، كتاب دلائل القبلة، ص61.

لم تسعفنا كتب الطبقات والتراجم عن معرفة قدر من المعلومات عن حياة الفقيه أبي علي المتيجي، عثرنا على إشارة بسيطة عنه عند القاضي عياض (ت544هـ/1149م) في الغنية ذكره في معرض الحديث عن شخصية الفقيه عبد الله بن أحمد بن خلوف الأزدي المعروف بابن شبون (ت533هـ/1143م) الذي عاصر الفقيه أبا علي المتيجي والتقى به في أغمات<sup>5</sup>، وأثنى عليه كثيرًا<sup>6</sup>. يعدّ أبو علي المتيجي مرجعًا فقهيًا هامًا، اشتهر بمدينة أغمات في عهد يوسف بن تاشفين (400 - 500هـ/ 1106 - 1009م)، وعاش بها إلى عشر الثلاثين والخمسمائة<sup>7</sup>.

- أهمية الكتاب ودواعي تأليفه:

كتبه الفقيه أبا علي المتيجي بناء على الطلب الذي جاء من قبل الفقيه أبي زيد عبد الرحمن<sup>8</sup> ومن عنده في الرباط<sup>9</sup> من جماعة المسلمين لأجل تيسير الطرق الموصلة إلى معرفة القبلة في المغرب الأقصى، وكيفية الاستدلال عليها وطريقة التوصل بالحقيقة إليها، وذلك لما كان يقع من التخاصم حولها بين الناس كالذي حدث بين الشيخ عبد العزيز التونسي (ت486هـ/1093م)<sup>10</sup> والفقيه الطيب (القافني) الغافقي الإسفاقي - رحمه الله - في مدينة أغمات وما حولها من الخلاف فيها والنزاع في أمرها<sup>11</sup>.

<sup>5</sup>أغمات، مدينة تكنفها جبل درن، أهلها مياسير يدخلون بلاد السودان بأعداد الجمال الحاملة لقتاير الأموال من النحاس الأحمر والملون والأكسية وثياب الصوف والعائم والمآزر وصنوف النظم من الزجاج والأصداف وغيرها. انظر. الإدريسي، أبو عبد الله الشريف محمد بن محمد، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، المجلد 1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002، ص232.

<sup>6</sup>القاضي عياض، الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض، تحقيق زهير جرار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982، ص155.

<sup>7</sup>العسقلاني، أحمد بن علي ابن حجر، تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، تحقيق علي محمد البجاوي، مراجعة محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت، القسم الرابع، ص1394.

<sup>8</sup>لم نتمكن من التعرف على هوية هذه الشخصية.

<sup>9</sup>الرباط، المقصود به رباط شاكرا، الذي ينب تأسيسه ليعلى بن مصلين الرجراجي، وقيل لشاكر من أصحاب عقبة بن نافع الفهري، ويرجح الباحث أنّ شاكر هو ابن يعلا، محله اليوم قرية تسمى سيدي شيكر بجانب المسجد العتيق المعروف بالرباط، حيث كان اجتماع صالحى المغرب. التادلي، التشفوف، ص51 - محمد السعيدى الرجراجي، رباط شاكر (سيدي شيكر) والنيار الصوفى حتى القرن السادس الهجرى، وليلى للطباعة والنشر، مراكش، 2010، ص27 - 29.

<sup>10</sup>الشيخ التونسي، هو الفقيه عبد العزيز التونسي الزاهد يكنى أبا محمد، أخذ عن أبي عمران الفاسي الفقيه، وأبي اسحاق التونسي، ومال إلى الزهد والتشفوف، سكن مالقة وغيرها من بلاد الأندلس، ليستقر بأغمات، ودرس الناس الفقه عليه، ثم تركه لما راهم نالوا بذلك الخطط والعمالات، توفي بأغمات سنة 486هـ/1093م، عن حياته انظر، ابن بشكوال، أبو القاسم، الصلّة في تاريخ أئمة الأندلس وعلماهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، تحقيق بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2010، رقم الترجمة 805، 474/1.

<sup>11</sup>أبو علي المتيجي، كتاب دلائل القبلة، تحقيق نصيرة عزرودي، ط1، دار نور حوران للدراسات والنشر والتراث، دمشق، 2021، ص59.

تمّ وضع هذا الكتاب تحديداً لأهل أغمات وريكة<sup>12</sup>، من أجل ضبط قبلة مسجدهم<sup>13</sup> الذي بناه أميرها وطاس ابن كردوس من بني أمية سنة 245هـ/859م، حضر نصب قبلة جامعها الفقيه أبو محمد عبد الله الأندلسي مع كثير من الفقهاء والصالحين، نصبت قبلته إلى قلب العقرب، وقريب من مرجع الشتوي.<sup>14</sup>

هذا الخلاف والنزاع حول القبلة عايشه الفقيه أبو علي المتيجي مع رجل من أهل الدين والفضل والتحرري لنفسه ولدينه من أغمات لم يسمّيه لنا أنكر على المتيجي قوله أنّ مكة ليست من خطّ الزوال بالنسبة للمغرب، وهو رأها عيانا في خطّ الزوال، فجادله المتيجي وأقنعه بغلظه، فاعترف قائلاً: "والله لا أتكلّم بعد هذا اليوم أبداً في القبلة، وأتكلّم بما ثبت ربما صحّ عندك فيها."<sup>15</sup>

من خلال قراءة المخطوط يتّضح أنّ المتيجي ألّف كتابه خاصة بعد أن لاحظ الكثير من الأخطاء والمخالفات على القبلة في القيروان وسبتة والمغرب سواء بلغه أمر التحريف عن بعض المساجد ولم يشاهد ذلك أو شاهد عيانا تلك الأخطاء، واستمر في تحري تلك الأخطاء حتى بعد تأليف كتابه، ففي ذلك يقول: "وقد بلغني بعد تأليف هذا الكتاب بنحو من ثمانية أعوام أنّ السلطان وقرّقه الله عمد إلى الجامع الأكبر في مصرّة، وكان مبنيا على ما هي مساجد المغرب كلها إلى خطّ الزوال، فلما صحّ عنده تغريبه عن حقيقة القبلة هدمه وجدّد بناءه، وصرف قبلته إلى ما يجد فيها من التحقيق واستقبل بذلك المشرق، فنظر صحيح واستدلّال منه قويم على علم ثابت عنده وعند العلماء الذين معه حسب ما يجب في ذلك بالحنت، ذكر ذلك في هذا التّأليف فإنه قدوة في ذلك وحجة عليهم."<sup>16</sup>

- مباحث كتاب "دلائل القبلة":

يعالج الطرّق الموصلة إلى معرفة القبلة، وبسط الأقوال فيها بالاعتماد على آراء متقدّميه من علماء المذهب المالكي، بغية تصحيح أخطاء قبلة محاريب بلاد المغرب، وبيان أسباب هذه الأغاليط الذي أساسه التقليد الأعمى الذي جعل المغاربة يسترسلون في الخطأ، وسوء تأويل الأحاديث، والتكلم في أمر القبلة بالجهل وعدم العلم مع إتباع هوى النفس ومعاذة الحق. اختصّ هذا المصنّف بعلم التّوقيت أساسا، وطرحه لقضايا فقهية حاصلة بين علماء المغرب والمشرق في تحديد اتجاه الكعبة التي تقع شرق المغرب، خاصة عند الحجاج المغاربة الذين يخطئون في تقدير اتجاه مكة، ويؤكدون أنها في جهة الجنوب(الزّوال)، حتى بعد قيامهم بالحجّ، وذهابهم شرقا وعودتهم غربا.<sup>17</sup>

<sup>12</sup>أغمات وريكة مدينتان سهليتان، أحدهما تسمى أغمات إيلان والأخرى أغمات وريكة بينهما ثمانية أميال، ينزل بها التجار والغرباء، بها أسواق جامعة فسوق أغمات وريكة يقوم يوم الأحد بضروب السلع وأصناف المتاجر. انظر، البكري، المسالك والممالك، ص 153 - 154.

<sup>13</sup>يذكر أبو علي صالح بن أبي صالح عبد الحليم المصمودي أنّ قبلة أغمات ومراكش وأسفي متقاربة لكونهم في إقليم واحد، ولم يكن بينهم بعد كثير في السّمت ولا في المسافة. انظر، أبو علي صالح بن أبي صالح المصمودي، القبلة في الأندلس والمغرب الأقصى، تحقيق مونيكا ريوس، معهد مياس فاليكروزة للتراث العلمي العربي، برشلونة، 2000، ص 33.

<sup>14</sup>أبو علي صالح بن أبي صالح عبد الحليم المصمودي، المصدر نفسه، ص 44 - 45.

<sup>15</sup>أبو علي المتيجي، كتاب دلائل القبلة، ص 87.

<sup>16</sup>أبو علي المتيجي، كتاب دلائل القبلة، ص 115.

<sup>17</sup>أبو علي المتيجي، كتاب دلائل القبلة، ص 149 - 150.

مستنديين في ذلك على أهل الأهواء الذين لا ينطلقون من التفسير الصحيح للأحاديث النبوية، وعلى الرغم من ذلك فأغلبية المغاربة يتبعون مقولاتهم بإخلاص، لأنَّ حبهم للحياة تغلب على رغبتهم في معرفة الحقيقة فيما يخصَّ القبلة ومواضيع أخرى، يقول هؤلاء الجهال بأنَّ قبلة مساجدهم قد حدت من طرف أجدادهم بطريقة صحيحة، ويرفضون الاجتهاد فيها، فاتفقوا أنَّ الوجهة الصحيحة هي الزوال، وكننتيجة لذلك بنوا مساجدهم باتجاه الجنوب، استنادا لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم: "مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ قِبْلَةٌ"<sup>18</sup>، وهو الأمر الذي ينكره أبا علي المتيجي ولا يشاطرهم الرأي فيه، لأنهم فسروا الحديث<sup>19</sup> بطريقة خاطئة<sup>20</sup>، فجاءت غالبية مساجدهم منصوبة إلى خط الزوال بناءً على التقليد لا الاجتهاد.<sup>21</sup>

ومن جهة أخرى يقدم لنا المخطوط معلومات هامة حول الطريق التي يتخذها الحجاج المغاربة للوصول إلى مكة، والذي يتم على ثلاث طرق:

**الطريق الأولى:** هدفها الوصول إلى مصر التي لها خط عرض 30° عن طريق مدينة السلطان بالمغرب الأقصى، ولو أنَّ إحدى المدينتين تقع شرق الأخرى، وهذا لا يعني أنَّ الطريق لا يتوجب أن يكون مستقيما، لأنَّ المسافر يجد نفسه مضطرا للقيام بانحناءات نحو الشمال أو الجنوب بحثا عن الماء أو الزاد أو احتياجات أخرى.<sup>22</sup>

**الطريق الثاني:** ينطلق من سجلماسة إلى مكة مشيا على الأقدام، ويتوجب لقطعه إتباع جهة الجنوب الشرقي بمقدار 60° (نحو طلوع الشمس في فصل الشتاء) لمدة ثلاثة أشهر حتى وصولهم إلى مدينة جرم<sup>23</sup> لأخذ قسط من الراحة، وبعدها يتابعون المسيرة باتجاه بنات نعش لمدة ثلاثة شهور أخرى حتى وصولهم إلى مصر، ويكون ظل الشمس فيها في منتصف النهار، وهو نفسه في سجلماسة.<sup>24</sup>

**الطريق الثالث:** يمر على القيروان، ولكن الحجاج لا يستعملون هذا الطريق خوفا من سكان إفريقية، وخوفا من البراري، فيأخذون طريقا آخر باتجاه الصحاري ناحية الشرق لمدة سبعة أشهر حتى الوصول إلى أيلة، ومن هناك يتجهون نحو الجنوب لمدة نصف شهر للوصول إلى مكة.<sup>25</sup>

<sup>18</sup> حديث صحيح رواه الترمذي في سننه، انظر، الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة، الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط2، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1977، 171/2- (كتاب الصلاة 3 باب ما جاء أنَّ ما بين المشرق والمغرب قبلة، 356 حديث رقم: 343)، وابن ماجه في سننه، انظر، ابن ماجه، الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، مصر، 323/1، (كتاب إقامة الصلاة 5 باب القبلة 56، رقم الحديث 1011).

<sup>19</sup> ناقش الونشريسي اختلاف وجهات نظر الفقهاء والمحدثين حول مدلول الحديث هل الجهة أو السمت؟ انظر الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس المغرب، تحقيق محمد الحجي وآخرين، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1401-1981، 120/1-124.

<sup>20</sup> M. Rius, « La orientación de las mezquitas según el Kittib dala'il al-qibla de al-Mattiyyi (s. XII) », *De Bagdad a Barcelona*, J. Casullerasy J. Samsó (eds.), Barcelona, 1996, p. 323.

<sup>21</sup> أبو علي المتيجي، كتاب دلائل القبلة، ص92.

<sup>22</sup> أبو علي المتيجي، كتاب دلائل القبلة، ص176.

<sup>23</sup> تقع حاليا بلبيبا.

<sup>24</sup> أبو علي المتيجي، نفسه، ص176.

<sup>25</sup> أبو علي المتيجي، نفسه، ص177 - 178.

كما جاء هذا المخطوط ليوضح طريقة تحديد القبلة، ونبذ الجاهلين بها، وبيان أنّ عملية الرّصد تتمّ في الغالب على طريقتين:

**الطريقة الأولى**، طريقة غير رياضية، استخدمت المعرفة الفلكية في أبسط صورها، وهي التقليد العلمي الشائع في علم الفلك باستخدام الشمس والقمر والنجوم وحتى الرياح، وعليه فالقبلة تتحدد في مكان بواسطة ظاهرة فلكية تحدث في الأفق كبزوغ أو أفول نجم بارز أو كشروق أو غروب الشمس في الاعتدالين أو في الانقلابين، وكذلك بواسطة اتجاهات الرياح.

**الطريقة الثانية**، هي الطريقة الرياضية التي تستخدم وسائل رياضية حسابية، تقوم أساسا على تحديد اتجاه القبلة من عدّة نقاط مختلفة على نموذج الكرة الأرضية<sup>26</sup>، باستخدام الأدوات الفلكية المتنوعة<sup>27</sup> منها الأسطرلاب<sup>28</sup> والرّبع<sup>29</sup> والكحل<sup>30</sup> والبلاطة<sup>31</sup> والفزاري<sup>32</sup>.

<sup>26</sup> عبد الرحيم حنفي، منجانات (مزاوّل) المساجد التونسية في القرنين 12 - 13هـ/ 18 - 19م، دراسة أثرية فنية، رسالة ماجستير، كلية الآثار، جامعة القاهرة، 2013، ص 69 - 70.

<sup>27</sup> أبو علي المتيجي، كتاب دلائل القبلة، ص 169 - 170.

<sup>28</sup>-الأسطرلاب، لفظة معربة عن الكلمة اليونانية astrolabos بمعنى ميزان النجم أو ميزان الشمس أو ميزان الكوكب أو مرآة النّجم، ويرجع اختراعه إلى هيبارخوس وهو فلكي يوناني اشتهر في القرن الثاني قبل الميلاد، كما ينسب استعماله لأول مرة إلى اليوناني ارستاركي (320 - 260 ق.م)، وقيل أيضا أن "لاب" اسم رجل سطر سطرًا بيّن عليها حسابا فليل "اسطرلاب"، ثمّ نزعّت الإضافة فصار اسما واحدا "اسطرلاب"، وقيل أنه جاء من استرو لابس من استرو أي نجم أو كوكب ولايبون أي أخذ لأنه استعمل أولا في أخذ درجات ارتفاع الكواكب. انظر سعيد محمد مصيلحي، الأسطرلاب في مصر الإسلامية، دراسة أثرية وفنية، رسالة ماجستير، كلية الآثار، القسم الإسلامي، جامعة القاهرة، 1988، ص 21- أحمد عبد الرزاق، الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، 1991، ص 75- سامي شلهوب، العمل بالأسطرلاب لعبد الرحمن بن عمر بن محمد بن سهل الصوفي، أبحاث الندوة العالمية لتاريخ العلوم عند العرب، جامعة حلب، المؤتمر السنوي الثاني عشر لتاريخ العلوم عند العرب المنعقد في دير الزور 12 - 14 نيسان 1988، إعداد مصطفى شيخ حمزة، منشورات جامعة حلب، 1996، ص 117.

<sup>29</sup>الرّبع المجيّب، ويسمى أيضا ربع الدستور، هي آلة على شكل ربع دائرة مدرجة بمقياس للدرجات مرسوم على طرف قوسها كما يرسم على القوس أرقام تدلّ على الوقت، ويرسم على الجزء الأوسط من الربعية خطوط تدلّ على حركة الشمس والقمر، وقد سميت بذلك لأنها تشكّل القسم الرابع من وجه الأسطرلاب الخلفي الذي توجد عليه البروج والمدار السنوي، كان الرّبع المجيّب في الأصل عبارة عن خط رأسي وآخر عمودي عليه، مقسّم إلى 90 قسما متساويا ويسمى "الجيب التسعيني"، وبعدها ظهر نوع آخر يسمى الجيب الستيني، لأنّ الخطّ الرئيسي فيه ينقسم إلى 60 قسما متساويا، وكان يوضع عليه بعض الرسوم الإضافية، مثل نصف دائرة لإيجاد الجيب، وربع دائرة لإيجاد ميل الشمس، وخطوط الظلّ، وتحديد وقت العصر. للمزيد انظر، أسامة فتحي، مخطوطات الآلات الفلكية في دار الكتب المصرية، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد 58، الجزء الأول، رجب 1435/ مايو 2014، ص 135- لطف الله قاري، الفلك العربي بعد القرن السادس الهجري - الثاني عشر الميلادي، مجلة الفيصل العلمية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، المجلد الأول، الرياض، ربيع الآخر - جمادى الآخرة 1424هـ، ص 121.

<sup>30</sup>الكحل، وهو نوع من أنواع الساعات الشمسية مخروطية الشكل، وهذه الأداة غير مألوفة، ويعدّ أبو علي المتيجي أول من أشار لهذه الآلة في المغرب. انظر. Monica Rius, *op. cit.*, p. 818.

<sup>31</sup>البلاطة، رخامة تبنى من حجر كتان أو رخامة، وترسم فيها خطوط مستقيمة مكتوب عليها أسماء الساعات، وهي دائرة

وفي مركز تلك الدائرة مسمار قائم على زوايا قائمة كلما سامت ظل ذلك المسمار لخطّ من تلك الخطوط علم كم ساعة مضت من النهار، تستخدم لتحديد سمت القبلة بشرط وضعها على مكان مستوي من الأرض وتجعل فيه انظر.

لكن المتيجي يحذّر من استعمال هذه الأدوات للحساب الفلكي إذا ما وقعت في أياد غير خبيرة، لأنها تعطي نتائج خاطئة عن القبلة، فمثلا لا يمكن استعمال الأسطرلاب إذا كان من يستعمله بحوزته خريطة غير مطابقة لخطّ العرض، وإذا كان المستعمل له لا يعرف أصول الحساب من ضرب وقسمة، أو إذا ما انطلق من فكرة أنّ القبلة في الاتجاه الجنوبي.<sup>33</sup> وعليه فإنّ الجهل بهذه الأدوات يؤدي إلى سوء التأويل وسوء الاعتقاد ووقوع الغلط، فجاء كتابه لدرأ هذه الأخطاء جملة وتفصيلا.<sup>34</sup>

وهذا التحذير من استعمال الأدوات الفلكية يرجع أساسا لكون أبا علي المتيجي فقيه بالأساس، يترك هذه الأساليب كحلّ أخير، وفي المقابل لا يشير إلى أي حل وسط لأولئك الفقهاء الذين يخطئون في تفسيراتهم الفقهية، فعلى الرغم من كثرة الأخطاء كالتأكيد على أنّ قبلة القدس هي الجنوب، لكنها في الواقع هي 23° للجنوب الشرقي، وفي المقابل نجد الوجهات التي يعرضها للمدن الأخرى مقبولة للغاية.<sup>35</sup>

### • جدول استخراج قبلة المساجد الواردة في كتاب أبي علي المتيجي:<sup>36</sup>

المسجد	الصفحة	درجة القبلة
القدس	ص124/ قال أبو الوليد الباجي أنّ مكّة في الجنوب لبيت المقدس صاعدة عن حقيقة الجنوب إلى المشرق قليلا	22:44, 37°
الفسطاط	ض 105 + 130 + 158/ انظر إلى العقرب وقبالته، فإذا طلعت الإبرة وهي الشّولة فإنّ قبلة بلدكم على ذلك.	38, 47:43, 38°
الإسكندرية	109/ قبلة بلاد الاسكندرية يستدل عليها باستقبال قلب العقرب	15, 44:34, 15°
أجدابية	113 - 114/ يرى محمد عبد الحكم أنّ قبلة أجدابية مثل قبلة الفسطاط تتم عن طريق النظر إلى العقرب وقبالته فإذا طلعت الإبرة وهي الشّولة وتبينت فحينئذ يستقبل قلب	18, 66:57, 18°

David A. King, « Three sundials from Islamic Andalusia », *Journal for the history of Arabic sciences*, University of Aleppo, Syria, no 2. November 1978, p. 387+389

32- الفزاري، هو أبو اسحاق إبراهيم بن حبيب الفزاري، من ولد سمرة بن جندب، وهو أوّل من عمل في الإسلام أسطرلابا، وعمل مَبطحا ومسطحا، له من الكتب: كتاب "القصيدة في علم النّجوم"، كتاب "المقياس للزّوال"، كتاب "الزّيج على سينيّ العرب"، كتاب "العمل بالأسطرلاب"، وهو ذات الحلق، كتاب "العمل بالأسطرلاب المسطح". النّديم، الفهرست، قابله على أصوله أيمن فؤاد السيّد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، 2009، 231/1 - 232.

<sup>33</sup> M. Rius, *op. cit.*, p. 818 -819

<sup>34</sup> أبو علي المتيجي، كتاب دلائل القبلة، ص179.

<sup>35</sup> M. Rius, *ibid.*, p. 323.

<sup>36</sup>-M. Rius, "Laorientación de las mezquitas según el Kittib dala 'il al-qibla de al-Mattiyyi, p828

	العقرب	
°17,69:19	ص 160 + 168 / حدّدت القبلة من قبل الصباحة والتابعين إلى مطلع الشّمس في الشّتاء ص161/ الفقيه أبو الطيب عبد المنعم بن عبد الملك ابن ابراهيم القروي، عقبه بن نافع، مطلع الشّمس في الشّتاء	القيروان
°42,72:41	ص 105 - 106 / ابن أبي عمران الفاسي، قبلة قفصة مغربة عن جامع القيروان ومنحرفة إلى جهة المشرق	قفصة
°16,79:42	ص170/ تتّم معرفة القبلة بالأسطرلاب، خطّ الزّوال بها °24 للجنوب الشرقي ص173/ عن طريق العمل بربع دائرة، خطّ الزّوال بها °45. ص173/ العمل بالميزان الفزازي، سمت القبلة عن خطّ الزّوال إلى ناحية الشرق ب66 درجة، هو مطلع الشّمس في نصف دجنبر	قرطبة
°09,84:08	ص168/ ابن فضل الله النحوي، عند مطلع الشّمس في الشّتاء خارج عن خطّ الزّوال بست وستين درجة	مغرب أقصى(فاس)

### الخاتمة:

- نظرا لأهمية القبلة وجهتها في حياة الفرد المسلم أوجب علماء وفقهاء المغرب الإسلامي على ضرورة الاجتهاد في معرفتها، خاصة بعد توفر الوسائل المعينة على ذلك من أسطرلاب وصفيحة وربع مجيب...إلخ، وإلحاح علماء الفلك على ضرورة استيعاب طرقها وكيفية استعمالها، خاصة وأنهم ألفوا فيها التقاويد والكراسات.

- استطاع الفقيه أبا علي المتيجي في مؤلفه الفريد والأول في بابيه من استيعاب قضية الخلاف بين الفقهاء والفلكيين، وجمع أدلته النقلية والعقلية ليحاجج بها المعارضين خاصة فقهاء السلطان.

### قائمة المصادر والمراجع:

#### أ- المخطوطات:

\*ابن البنا المراكشي(ت721هـ/1265م)، رسالة في مسألة الهلال رؤية وحسابا ونقلًا، مخطوط ضمن مجموع بالخرانة الصبيحية بسلا، تحت رقم 4/153.

#### ب - المصادر المطبوعة:

\*الإدريسي، أبو عبد الله الشريف محمد بن محمد الحمودي(توفي بعد سنة 560هـ/1164م)، نزّهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002م.

\*ابن بشكوال، أبو القاسم (ت578هـ/1183م)، الصلّة في تاريخ أئمة الأندلس وعلماهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، تحقيق بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2010م.

\*البكري، أبو عبد الله (ت487هـ/1094م)، المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

\*ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني (ت852هـ/1448م)، تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، تحقيق على محمد البجاوي، مراجعة محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت، القسم الرابع.

\*أبو علي المتيجي (توفي حوالي 530هـ/1136م)، كتاب دلائل القبلة، تحقيق ودراسة نصيرة عزرودي، دار نور حوران للنشر والتوزيع، دمشق، 2021.

القاضي عياض، بن موسى اليحصبي السبتي (ت544هـ/1150م)، الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض، تحقيق زهير جرار، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1982م.

\*المصمودي، أبو علي صالح بن أبي صالح (عاش خلال القرن 8هـ/14م)، القبلة في الأندلس والمغرب الأقصى، تحقيق مونيكا ريوس، معهد مياس فاليكروزة للتراث العلمي العربي، برشلونة، 2000م.

\*النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق، الفهرست، قابله على أصوله أيمن فؤاد السيّد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، 2009م.

\*الونشريسي، أحمد بن يحيى التلمساني (ت914هـ/1508م)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس المغرب، تحقيق محمد الحجي وآخرين، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1401-1981م.

### ج - المراجع باللغة العربية:

\*إبراهيم القادري بوتشيش، حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة في الغرب الإسلامي، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2006.

\*محمد السعيد الرجراجي، رباط شاعر (سيدي شيكر) والتيار الصوفي حتى القرن السادس الهجري، ويلي للطباعة والنشر، مراكش، 2010م.

### د - المقالات باللغة العربية:

\*أجبابدي، خليل، المغاربة وعلم التوقيت، محاضرة ضمن ندوة علمية في موضوع علم التوقيت وذلك يوم الأحد 30 مارس 2014، تنظيم مركز أكلو للبحث والتوثيق بتنسيق مع الجماعة القروية لإثيناأكلو بإقليم تيزنيت، المملكة المغربية.

\*أجميلي، عبد السلام، علم التوقيت ومؤلفاته في المذهب المالكي، مقال ضمن ندوة بعنوان: المنهجية الفقهية في مؤلفات المذهب المالكي، منشورات الرابطة المحمدية للعلماء، ومركز البحوث والدراسات في الفقه المالكي، 2012م.

\*سامي شلهوب، العمل بالأسطرلاب لعبد الرحمن بن عمر بن محمد بن سهل الصوفي، أبحاث الندوة العالمية لتاريخ العلوم عند العرب، جامعة حلب، المؤتمر السنوي الثاني عشر لتاريخ العلوم عند

العرب المنعقد في دير الزور 12 - 14 نيسان 1988، إعداد مصطفى شيخ حمزة، منشورات جامعة حلب، 1996م.

\*لطف الله قاري، *الفلك العربي بعد القرن السادس الهجري - الثاني عشر الميلادي*، مجلة الفيصل العلمية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، المجلد الأول، الرياض، ربيع الآخر - جمادى الآخرة 1424هـ.

هـ - الدراسات باللغة الأجنبية:

Hajjī Muḥammad, *L'activité intellectuelle au Maroc à l'époque sa'dide*, Dar El Maghrib, 1976-1977

Rius Monica, « Laorientación de las mezquitas según el Kittib dala'il al-qibla de al-Mattiyyi (s .XII) », *De Bagdad a Barcelona*, J. Casullerasy J. Samsó (eds).,Barcelona, 1996/

King David, « Three Sundials from Islamic Andalusia », *Journal for the History of Arabic Sciences* , Journal for the history of Arabic science , University of Aleppo,Syria, no 2.November 1978.

و- الأطاريح الجامعية:

\*عبد الرحيم حنفي، *منجانات (مزاوول) المساجد التونسية في القرنين 12 - 13هـ/ 18 - 19م*، دراسة أثرية فنية، رسالة ماجستير، كلية الآثار، جامعة القاهرة، 2013م.